
رواية
بلاتوه
DIRECTOR
دينا عماد

عصير الكتب

1/2 نص كتاب
groups/Book.juice

حملة جديدة : الهدف منها نقرب الكتاب من القراء
ألوان كثيره من الكتب وكتّاب أكثر هيكونوا موجودين
فى معرض الكتاب 2015
هتقدر كقارئ تكون فكره عن كل كتاب عشان
تعرف تحدد الكُتب إللي ناوي تشتريها وتلاقيها فين.

شكر خاص لدور النشر و الكتُاب لتعاونهم معانا


http://www.Book-juice.com


groups/Book.juice

إ هـد ا ء

إلى الله

اللهم ألهمنا الصواب

اللهم قَدِّر لنا الخيــر

مُقدِّمة

حياتنا تتلخَّص في مجموعة من القرارات، منها ماقد يغيِّرها تمامًا للأحسن أو الأسوأ..
ما أصعب الاختيار حينما تتضارب قرارات العقل والقلب.. تقع الحيرة ويتوجب علينا الاختيار.
بعد الاختيار.. لابد من تحمل مسئوليته أيًّا كانت تبعاته..
فالماضي لن يعود والاختيارات لن تتكرر..
هذا هو كلام العقل.. لكن للقلب والأقدار حسابات أخرى.

(1)

فتحَتْ «نادين» عينيها على صوتِ نغمة رنين هاتف زوجها.. لمحت الشروق من خلف ستارة غرفة النوم.. سمعته يرد بهمس وهو يخرج مسرعًا من الغرفة: "ألو.. أيوة.. مالها بالظبط؟"
لم تسمع أكثر من ذلك سوى صوت الباب يُغلَق.. نظرت في الساعة بجوارها، وجدتها الخامسة والنصف صباحًا..

نهضت بخطوات متباطئة.. فتحت الباب في نفس اللحظة التي عاد فيها زوجها.
–إنتي صحيتي؟
–أه.
–أكيد صوت التليفون صحاكي.
–أيوة.

دخل حمَّام غرفة النوم.. خرج بعد أقل من خمس دقائق، بينما كانت نادين جالسة تنتظره.. سألتْه:
–انت نازل؟
–أيوة.. أنا آسف ان صوت التليفون صحَّاكي.
–يا«حسن» يا حبيبي انت ملحقتش تنام.. إنت راجع الساعة 2ونص منمتش 3 ساعات على بعض.
–أعمل ايه بس يا حبيبتي.. شغلي.. نامي انتي وكمِّلي نومك.

صمتت نادين تفكر في ال15 سنة الماضية.. سنوات زواجها من حسن الذي عشقته بكل جوارحها..
تعلم أنه يبادلها العشق.. ولكن ماذا حدث في السنوات الثلاث الأخيرة؟ ذبل حبه؟
لا.. لا يمكن أن يقل حب حسن لها.. ملل.. خرس زوجي كما يُقَال؟
ربما.. ولكن من أين سيأتي الملل وهي متجددة باستمرار؟!

قطع أفكارها ضم حسن لها وطبْع قُبلة على جبينها بعدما انتهى من ارتداء ملابسه:
-كمّلي نومك وانا شوية وراجع إن شاءالله.
-هستناك.
-ليه؟!.. نامي انتي وارتاحى، إفرضي اتأخرت.
-أنا مبقاش بيجيلي نوم وانت بعيد يا حسن.. أنا نومي بقى ملخبط بسبب شغلك.
-حقك عليا.. غصب عني.. أنا هنزل بقى عشان متأخرش على اللي مستنياني.. حرام اسيبها كده.
-ماشي يا حبيبي.. ربنا معاك.

أوصلته حتى الباب.. قبَّلته وودَّعته وأغلقت الباب.

عادت إلى غرفتها.. اتجهت لسريرها.. عدلت من قرارها بمحاولة النوم لمحاولة التسلية إلى أن يعود.. وقفت أمام مكتبة الأفلام.. انتقت فيلمًا تحبه.. وضعته في الـ "DVD" وضغطت "تشغيل"..

جلست تشاهد الفيلم.. وأوقفت الصورة على اسمها النجمة «نادين» ابتسمت وهي ترى اسمها لامعًا على الشاشة، اجتاحتها لحظات حنين للفن الذي هجرته من أجل

الحب.. حنين لم تنجح يومًا في قتله.. على عكس ما تتظاهر به من أنها نسيَتْ الفن تمامًا.

أعادت تشغيل الفيلم.. ورجعت بظهرها للخلف.. كل مشهد كانت تراه، تتذكر معه كواليس التصوير.. أيام جميلة قضتها مع زملائها كُلِّلَت بسعادتها بنجاح الفيلم، ولكن أروع ما في تلك الأيام.. هو ذكريات تعارفها بحسن في ذلك الوقت.

بلاتوه التصوير

يُجرَى التحضير للمشهد على قدمٍ وساق.. المخرج يطلق صرخاته يريد الانتهاء من المشهد الذي يحضِّر له من الصباح.. عُمَّال الإضاءة، الديكور، التصوير، كل منهم يتمم على عمله، كل شيء على ما يرام.

ينادي المخرج"فين نادين؟"

تأتي نادين بعدما انتهت من ارتداء ملابس التصوير والماكياج الخاص به، تقف مساعدتها وقتذاك «هناء»، تنتظرها وتستمتع بالمشاهدة ..

هدوء تام.. كلاكيت..

تندمج نادين في المشهد الذي تمثله.. المشهد يتطلب تركيزًا عاليًا؛ فلايوجد حوار ولا ممثل آخر أمامها.. فقط تمثل بعينيها وبحركات جسدها..

صمت مطبق.. حتى الأنفاس محبوسة.

يخترق الصمت صرخة عالية.. يلتفت الجميع لمصدر الصراخ، تجد نادين مساعدتها هناء على الأرض تبكى وتصرخ، تقبل عليها مسرعة.. تباعد مابين الجمع الواقف حولها:

–مالك ياهناء؟

–مش عارفة.. بسقَط ولا بولِد مش عارفة.. تعبانة أوي.

تكمل صراخها.. ترتبك نادين فزِعة:

–انتي مش لسه في السادس.. ايه اللي حصل؟

تبكي هناء.. لا تجد ردًّا..

يقترح أحد الموجودين " نطلب الإسعاف".

نادين: أنا لسه هستنى الإسعاف.. أنا هاخدها حالًا على المستشفى.. حد يساعدني نسندها لحد العربية.

تصل نادين على أقرب مستشفى خاص.. نادين وهناء وحدهما.

هناء بالنسبة لنادين ليست مساعدة فقط.. فهي تعتبرها صديقة مقربة.. معجبة بإرادتها ورغبتها في عيش حياة كريمة باجتهادها رغم كل ما مرت به من ظروف وفاة والدها ومرض والدتها.. عملها بجوار دراستها حتى حصلت على دبلوم التجارة.. قوَّتها في صدِّ أية محاولة من رجل بلا مبادئ بالتقرب منها واستغلال حاجتها المادية.

تعرفا في ظرفٍ عادي.. أحضرها البواب لوالدة نادين لتنظيف الشقة، تعودت أن تحضر للتنظيف مرتين في الأسبوع، أمانتها وحلاوة لسانها جعلاها تدخل قلب نادين ووالدتها من أوسع الأبواب.

ومع ظهور أول فرصة لنادين في بطولة فيلم كوجهٍ جديدٍ، طلبت من هناء أن تكون معها دائمًا وتترك عملها بالبيت.

على مدار أربع سنوات لم تستطع هناء مفارقة نادين، حتى بعد زواجها.. قررت الاستمرار في العمل معها. لم تجد معارضة من زوجها.. فهو سافر للعمل بعد الزواج بشهرين، تاركًا قرار العمل في يد هناء وحدها.. تبعًا لما تتحمله قدرتها دون إجبارٍ منه على الاستمرار من عدمه.

ترجَّلت نادين من السيارة مسرعة.. طلبتْ من أحد الممرضين مساعدتها لاستقبال الحالة التي بصحبتها.

"د.حسن شاهين"..

ردت عليها إحدى الممرضات عندما سألتها نادين عن طبيب النساء الموجود بالمستشفى.

لم تسمع نادين اسمه من قبل.. ربما لأنها لم تحتَج حتى الآن لدكتور أمراض نساء وولادة وهذه هي المرة الأولى التي تتعامل فيها مباشرة مع حالة ولادة.. وربما إجهاض.. وحتى الآن لم تتضح حالة هناء بعد..

سألتها نادين مرة أخرى:

-طيب هو فين؟؟ هيسيبها كده.

ردت الممرضة بابتسامة:

-متقلقيش.. احنا دخَّلنا الحالة العمليات وزمان دكتور حسن دخلها خلاص.

جلست نادين قلقة.. بينما استطردت الممرضة:

-هو حضرتك مفيش فيلم جديد قريب؟

حاولت نادين أن تتغلب على قلقها بصعوبة وردت مبتسمة:

-فيه قريب إن شاءالله.. إحنا بنصور حاليًا.

-هيَّ اللي معاكي دي قريبة حضرتك؟

-يعني.. حاجة زي كده.

-ربنا يقومها بالسلامة إن شاءالله.

-يارب.. هو الدكتور ده كويس؟

-طبعًا.. دكتور حسن ماشاءالله عليه.. ممتاز.

بعد ساعتين..

كانت نادين تحتسي القهوة في مكتب "د. حسن".. سألته عن حالة هناء بالتفصيل:

-هيَّ دلوقتي كويسة
-كويسة ازاي .. دي بتتألم أوي.
ابتسم وهو يطمئنها:
-أكيد لازم تتألم.. مش خارجة من عملية قيصرية.. بس بالنسبة لنا هي كده بخير العملية تمام وفاقت واتكلمت الحمدلله.
-الحمدلله.. والبيبي؟؟
-هو حاليًا في الحضَّانة.. بس مقدرش أأكد هيعيش ولا لأ.
-يارب يعيش.. لو حصل حاجة هحس بالذنب.
-ليه؟؟ذنبك ايه؟
-الفترة اللي فاتت كنت بشتغل كتير وهي معايا دايمًا.. يعني انا السبب في تعبها ده كله.
-هوِّني على نفسك.. ده كل شيء نصيب.. ياما ناس بتولد في التاسع وبتكون مرتاحة ومبيحصلش نصيب وياما ناس بتولد بدري عن معادها والطفل بيعيش.
-ربنا يستر.
نهضت نادين لتعود لهناء مرة أخرى قائلة:
-ميرسي يادكتور.
نهض بدوره هو الآخر.. اتجه خلفها لباب المكتب، وقبل أن تخرج.. بادرها قائلًا:
-هطَّمئن عليها بالليل إن شاءالله.
سكت قليلًا وسألها:
-هتكوني موجودة؟
ردَّت بتلقائية:
-أكيد.
مدَّ يده يصافحها:
-يبقى اشوفك بالليل إن شاءالله.
مدت يديها صافحته.

لم تستطع الرد.. فقد تجمعت كل أحاسيس الدفء والأمان في لمسة يده ليدها، رفعت عينيها لعينيه.. وجدت بريقًا جذبها في هوّة عميقة فصلتها عن الزمان والمكان.. حديثٌ صامت دار بينهما.. لا يسُمَع بالأذن.. فقط القلوب هي من تستطيع فك شفرته.

تنهدت نادين بعدما أفاقت من ذكرياتها، أكملت الفيلم وهي تتذكَّر كيف تطوَّر الحب بينهما بسرعة، وفي وقت قليل نسبيًا.. وبعد الانتهاء من الفيلم صارحها حسن برغبته في الزواج منها.. ولكن.. شرط أن تكون زوجة فقط.. زوجته وحبيبته ورفيقة دربه، وأن تترك الشهرة والأضواء والفن ليستطيعا تكوين أسرة مستقرة.

أخذت وقتًا في التفكير كما طلب منها حسن ووعدها أنها لن تندم أبدًا إذا اختارته عانت ليالٍ طويلة من صراع بين حبين؛ حبها لحسن وحبها للفن.. قررت أن تختار الفن.. ومع أول أيام الفراق انهارت قوتها في المقاومة واتصلت بحسن وأخبرته باختيارها له.

ونفَّذ حسن وعده بأنها لن تندم.. فبعد عام من الزواج وبعد أن كُلِّلت سعادتهما بوجود لميس في حياتهما، وجدت أن السعادة تتمثل في بيتها وزوجها وابنتهما
كان نعم الزوج المحب المتفاني في إسعاد زوجته وابنته، لكن.. الثلاث سنوات الأخيرة...

****

وصل حسن بعد أقل من ساعة لمركز الولادة الذي يمتلكه، يحتل المركز الدور الأول علوي كاملًا في برج سكني، يحتوى على غرفتي عمليات وغرف متعددة للحالات، بالإضافة لغرفة كبيرة إدارية تشمل الحسابات وشئون العاملين.. غير عيادته الملحق بها غرفة انتظار وعيادة أخرى لـ «منى» مُلحَق بها غرفة انتظار، وغرفة استراحة الممرضات، وكافتيريا صغيرة ملحقة بمطبخ كبير.

كان في انتظاره زوجِ الحالة التي فاجأها المخاض.. بعد توقيع الكشف عليها طمأن أهلها: "متقلقوش.. لسه قُدَّامها شوية.. أنا ف مكتبي وهجيلها كل نص ساعة".
وأمرَ الممرضة الموجودة برفقته:"خليكي متابعاها لو لقيتيها قربت ناديلي".
دخل مكتبه، وقف أمام المكتبة.. أخذ كتابًا وجلس على المكتب.. نظر نظرة خاطفة لصورته مع نادين ولميس، فتح الكتاب الذي بين يديه، وبعد قراءته لأول صفحة، سمع طرقات الباب، وفُتِح الباب، ودخلت دكتورة منى ابنة خالته وزميلته في المركز:
–صباح الخير ياحسن.
–منى!! صباح النور.. ايه اللي جابك بدري كده.
جلست أمامه وأرادت أن تغير مسار الحديث فسألته:
–إنت مروَّحتش من امبارح؟
–لا روَّحت وجيت من شوية.
–فطِرت؟
–لأ لسه.
–طيب، أنا هقوم اجيب حاجة من الكافتيريا.

خرجت منى من المكتب.. وحسن يتابعها بعينيه. غابت خمس دقائق وعادت مرة أخرى:
–ثواني ويجيبولنا ساندويتشات وشاي.
نظر لها حسن في عينيها.. وجدهما ذابلتين.

-مالِك يا منى.

اغتصبت ابتسامة وهي تجيبه:

-مفيش حاجة.

دقَّق النظر في عينيها:

-مش عليا يا منى.. مالِك؟

اغرورقت عيناها بالدموع وفشلت في كتمان ما يحمله قلبها:

-أنا خلاص تعبت يا حسن.. حتى بيتي مش عارفة ارتاح فيه.. إنت عارف أنا جايَّة بدري ليه؟

-ليه؟

-عشان انام شوية.. سايبة بيتي وجاية انام على سرير مستشفى عشان مش لاقية راحتي ف بيتي.

-حماتك برضه؟

-أيوة.. بقت لا تطاق بجد.

-ايه الجديد.

-الجديد ان قُعَادها عندى بقى أمر واقع وبتتحكم في البيت كأنه بيتها.

-وأسامة؟

-كل ما اكلمه يقولّي امي ومقدرش اسيبها بعد ما اختي سافرت لجوزها.

-تحبي اكلمه.

-زي قِلِّته يا حسن.. هيرد عليك بنفس الكلام.

أخرج حسن مفتاحًا صغيرًا من درج مكتبه.. ناوله لمنى:

-ده مفتاح المكتب.. لما نخلَّص فطار هروح أمرّ على الحالات واقفلي على نفسك ونامي هنا.. السرير هنا مُريح مش هيتعبك.

تناولته منى وابتسمت له شاكرة.

قاطعهما عامل الكافتيريا الذي أحضر الإفطار، تركه على طاولة صغيرة وخرج.

تناولا إفطارهما معًا..

كانت منى تتناول الطعام بحزنٍ وهي شاردة، بينما يتابعها حسن بقلبٍ يرق لحالها.

قاطعهما دخول الممرضة:

–دكتور حسن.. المدام خلاص الطلق زاد عليها أوي.

–دكتور مختار جه ولا لسه؟

–لسه.

انفعل حسن وأكمل بصوت مرتفع:

–ازاي لسه مجاش لحد دلوقتي.. أنا مكلمه من قبل ما اجي.

ارتبكت الممرضة ولم تجد ردًّا.

سألته منى:

–هيَّ مش هتولد طبيعي.. عايز مختار في ايه؟

–عايزُه أو مش عايزُه.. كلمته يبقى ييجي مش يتأخر كده.. افرضي كانت هتولد قيصري ميبقاش دكتور التخدير موجود.

أمسك حسن تليفونه، وأجرى اتصالًا بمختار ومنى والممرضة تترقبان ثورة حسن على مختار.. يزفر حسن زفرة حادة قائلًا: "كنسل عليا".

يسمع صوت مختار قريبًا.. يدخل المكتب:

–كنسلت عشان وصلت.. أنا تحت أمرك يا دكتور.

–خليك جاهز يمكن احتاجلك.

تركه حسن في المكتب مع منى.. وخرج مع الممرضة ليلحق حالته.

(2)

كانت نادين مازالت مستيقظة عندما شعرت بدخول أم خالد بهدوء..

أم خالد تمشي على أطراف أصابعها في الغرفة، حدثتها نادين بدون أن تتحرك:

-عايزة حاجة يا أم خالد؟

انتفضت أم خالد وبحركة لا إرادية، فتحت صدر ثوبها وبصقت به:

-بسم الله الرحمن الرحيم.. إنتي صاحية يا مدام.

اعتدلت نادين جالسة:

-اه صاحية من بدري.. من ساعة ما الدكتور نزل.

-طيب هروح احضرلِّك الفطار.

-لأ مش دلوقتي.. الدكتور زمانه جاي هبقى افطر معاه.. كنتي جاية عايزة حاجة؟

-آه.. كنت جاية اخد الغسيل.

-بدري كده؟

-عشان الحق اليوم من أوله.

نهضت نادين من فراشها بعدما جفاها النوم تمامًا:

-أنا هقوم اخد شاور.

ردت أم خالد وهي تأخذ بعض الملابس المُعلَّقة على الشمَّاعة:
-مدام نادين.. لميس لسه صاحية طول الليل ماناامتش.. مش كويس عليها كده.
لم تجد نادين كلمات ترد بها على أم خالد.. فهي رغم تدخلها بعض الأحيان فيما يخص لميس إلا أنها طيبة القلب وتحبهم حقًا وتعتبر لميس ابنة لها.. فهي معهم منذ سنوات لميس الأولى، وقامت بخدمتها وتربيتها يدًا بيد مع نادين؛ لذلك تغفر لها نادين تلك التدخلات التي لا تقبلها من أي شخصٍ آخر مهما كان قريبًا منها.

****

أنهت نادين حمَّامها.. جلست تتزين أمام مرآتها بعدما انتقت زيًّا نهاريًا ترتديه لأول مرة؛ متمنية أن ينال إعجاب حسن.
أثناء تصفيف شعرها، كانت تتخيل لحظة قدومه للمنزل، تتخيلها بشوق ولهفة كموعدهما الأول.. تُحدِّث نفسها: "من قال إن الحب ينتهي بعد الزواج من المؤكد أنه لم يحب حقًا.. فالحب مازال في أوج اشتعاله ولم يفتر بمرور السنوات.

انتهت من جلستها أمام المرآة.. وجدت الساعة اقتربت من التاسعة صباحًا، ذهبت لغرفة لميس.. وجدتها مازالت مستيقظة.
-صباح الخير.. انتي لسه قاعدة كده من امبارح؟
-صباح النور يا مامي.. أيوة مش جاي لي نوم.
-كفاية كده ونامي شوية.. تحت عنيكي هيسوَّد من كُتر السهر.
-حاضر.. بس مقلتليش اتفقتي مع بابي هنسافر إمتى.
-بابي مقالش معاد محدد.
-لو استنيناه مش هنروح ف حتة.
-أنا قبل كده وعدتك وموفيتش بوعدي؟
-لأ.

-خلاص.. هنسافر زي ما انتي عايزة إن شاءالله بس نشوف بابي فاضي إمتى.
-أوك.
اقتربت منها نادين، وأخذت الـ "آي باد" وقبَّلتها من وجنتيها، وتركتها لتنام.

****

أخذت نادين تليفونها لتتصل بحسن.. وجدت تليفونه مغلقًا.. ذهبت للتليفون الأرضي واتصلت على مكتب حسن.
بعد انتظار نادين لحظات رنين الهاتف، أتاها صوت أنثوي متكاسل، نظرت مجددًا لشاشة التليفون الأرضي لتتأكد من الرقم المطلوب.. لم تخطئه وهو بالفعل الرقم المباشر لمكتب حسن.. تجدد الرد مرة أخرى.. نفس الصوت الناعم الناعس، حاولت أن ترد تسألها من هي وكيف أتتها الجرأة لترد على تليفون زوجها، اختنق صوتها ووقف الكلام في حلقها.. انقطع الخط.. أغلقته المرأة الأخرى..
في لحظات.. قررت نادين أن تذهب فورًا لحسن.. لابد أن يعرف أنها اكتشفت خيانته.. حين تفاجئه متلبِّسًا بالجُرم المشهود.

****

وصلت نادين أمام البرج الذي يوجد به مركز شاهين للولادة، صعدت بسرعة حتى تستطيع أن تلحق بالمرأة الموجودة مع زوجها قبل أن تغادر.. عندما وصلت المركز، لم تلتفت لموظفة الاستقبال أو لأي من الممرضات ممن كن يرحبن بها، بل اتجهت بسرعة ومباشرة لمكتب حسن.

فتحت باب المكتب.. لم يُفتَح معها.. تأكدت أنه مغلق من الداخل..
ظلت تطرق على الباب بعنف وهي تنادي: "افتح يا حسن.. حسن.. افتح".

سمعت صوت ولوج المفتاح في الباب.. وانفتح الباب ووجدت منى أمامها

سألتها منى بفزع:

-مالك يا نادين؟؟ في ايه؟؟

دخلت نادين وهي تبحث حولها:

-حسن فين؟

-مش عارفة يا إما بيمر على الحالات يا إما معاه ولادة.. مالِك؟؟ لميس كويسة؟

جلست نادين على أقرب كرسي.. جلست لتستريح من ثقل شكها.. تنفست الصعداء عندما أدركت أن في الأمر لَبسًا ما، وبكل توتر سألتها منى:

-مالك يا نادين؟؟ طمنيني ايه اللي جابك تجري كده؟؟ لميس بخير؟

ردت نادين وهي تحاول أن تضبط أنفاسها:

-بخير يامنى.. الحمدلله.

كانت تحمدالله أن شكوكها لم تكن في محلها.. طوال الطريق وترتسم في مخيلتها مشاهد سيئة تتوقع مشاهدتها.. وبالتالي كانت تحاول أن تحضر رد فعل مناسب لكل مشهد تتخيله.

لاحظت منى صمتها وشرودها.. جلست أمامها صامتة بعد أن توقعت أنه ربما سبب وجودها هنا سرًا ما بينها وبين حسن ليس من حقها السؤال عنه، بادرتها نادين:

-انتي بتعملي ايه هنا بدري كده يامنى؟.. انتي كنتي بايتة هنا؟

ردت منى بنبرة حزينة:

-لأ.. جيت أول ما النهار طلع.

-ليه كده؟

سمعا صوت حسن في الردهة يقترب حتى وصل لباب المكتب، فوجئ بوجود نادين:

-نادين!! مالك؟؟ ايه اللي جابك؟

ترددت نادين في محاولة للبحث السريع عن إجابة ما.. ابتسمت:
-عادي يا حسن.. قلت اعملك مفاجأة.
-مفاجأة؟؟!! الساعة 9ونص الصبح؟
نهضت منى من مكانها:
-طيب هستأذن انا.. هبقى اكلمك يانادين.
سألها حسن:
-رايحة فين؟؟ انتي لحقتي تنامي؟
-هروح انام في أي حتة يا حسن متشيلش هم.
نهض حسن واستوقف منى وهو يخلع البالطو الأبيض:
-لا خليكي هنا يامنى وانا هنزل مع نادين شوية.

تبعته نادين صامتة أثناء خروجهما من المركز وأثناء ركوبهما سيارة حسن، نظر لها حسن نظرة جانبية أثناء قيادته السيارة.. تجاهلتها نادين، أعاد النظر للطريق أمامه وهو يسألها:
-شكلك زعلانة من حاجة؟
ردت بسرعة:
-لا أبدا يا حبيبي.
-أكيد فيه سبب انك جيتي الصبح بدري كده.. فيه حاجة عايزة تقوليها؟
ولمعت فكرة في رأس نادين.. فسألته ببراءة مصطنعة:
-أصل لميس كانت بتسأل هنروح مارينا إمتى، وانا جيت اشوف هتبقى فاضي إمتى؟
ضحك حسن.. تعجبت نادين من سبب ضحكته.
-بتضحك على ايه يا حسن؟
-كل ده عشان السفر.. قولي بقى اني وحشتك وجيتي تشوفيني.
-أيوة.. انت وعدتني انك هتيجي تفطر معايا وانا فضلت قاعدة استناك ومسألتش فيا.
-كانت ف إيدي حالة ولادة يا نادين.

-ما انا مكنتش اعرف وخصوصًا ان تليفونك كان مقفول... بُص يا حسن بصراحة بقى أنا اتصلت بيك ع المكتب واتجننت لما سمعت صوت واحدة ست بترد على تليفونك.

-ست؟؟ منى يعنى؟

-ما أنا مفسرتش انها منى.. صوتها كان نايم كده وانا كنت هموت م الغيرة.

وبنبرة حادة سألها متأكدًا:

-شكيتي فيا؟

ردت وهي تصحح مفهومه:

-دي غيرة مش شك.

أجابها بنفس النبرة الحادة:

-لما تيجى تجرى يا نادين عشان تقفشيني متلبس -من وجهة نظرك-تبقي شكيتي فيا.. أنا عمرى حصل منى حاجة تثير شكك؟؟

صمتت نادين.. وانحدرت من عينيها دموع صامتة لم يلحظها حسن وسألها مكررا:

-حصل منِّي حاجة تشكِّك فيَّا يا نادين؟

نظر لها ليواجهها، وجد دموعها ونظرتها الحزينة.

-للدرجة دي زعلانة؟ المفروض انا اللي ازعل.

-أنا مش زعلانة منك يا حسن.. وانا أسفة لو كنت زعلتك.. بس انا جوايا كتير وساكتة.

امتدت يده اليمنى احتضنت يدها اليسرى.. قربها من شفتيه.. لثمها برِقَّة.. وبنبرة حانية.

-خلاااص.. امسحي دموعك وهنقعد مع بعض وهسمع كل اللي جواكي ومضايقك كده.

****

على طاولة تطل على حمام سباحة في أحد الفنادق الكبرى، يرشف حسن من فنجان قهوته.. ينتظر سماع نادين.. أما نادين فكانت تبحث عن كلمات افتتاحية تمهد لها حديثًا ثقيلًا على قلبها.. تخشى من أن يُغضِب حسن..

لا تخشى ثورته فهي تعلم تمامًا أن الأمر يختلف معها عن عصبيته مع أي شخص غيرها.. فأقصى ثورة يصل إليها هي ارتفاع صوته قليلًا ولم تحدث تلك الثورة مطلقًا خارج منزلهما.

جل ما تخشاه أن يغضب ويكتم غضبه داخله ويتجنبها وهذا ما لا تطيقه.

تحدَّث حسن قائلًا:

–ايه يا نادين.. هتفضلي ساكتة كتير؟

–خايفة تزعل من كلامي.

–لا مش هزعل.. المهم متكونيش انتي زعلانة.

–مش ملاحظ اننا بعدنا أوي عن بعض.

–إحنا!!!

–أيوة يا حسن.. انت بتقعد معايا؟

–وانا قاعد مع مين دلوقتي؟

–لولا اني جيتلك مكناش قعدنا مع بعض.. آخر مرة قعدت مع بنتك إمتى؟

–ما انتي عارفة يا نادين ان اللي شاغلنى عنكم هوَّ شغلي.

–طيب واحنا؟

–انتوا روحي ومقدرش استغنى عنكم.. بس شغلي هو مستقبلي ومستقبلكم .. أنا لما بتعب واشتغل ده عشان مين؟

–بس وجودك معانا مهم.. أنا مش عارفة آخر 3 سنين البُعد بيننا زاد أوي كده ليه؟

–مش عارفة؟؟!!.. لأ انتي عارفة كويس وانا مبعملش حاجة من وراكي.

–ايه السبب؟

–السبب اني كنت بواصل الليل والنهار عشان جنب الشغل كنت بجهز للمركز وبشتغل زيادة عشان انتوا والبيت متتأثروش بالأزمة اللي كنت فيها.. كنت محتاج

فلوس اكمل بيها شِرا الأجهزة اللي ناقصاني ده غير ان العيادة مكنش ينفع اسيبها.. كل ده مش سبب يخليني بلف حوالين نفسي؟! واظن انتي كنتي عارفة انا بعمل إيه خطوة بخطوة وشايفة انا بتعب ازاي.

–أنا عارفة كل ده.. وخلاص الحمدلله المركز خلص والأمور استقرت.. فى إيه بقى؟

–المركز خلص الحمدلله واسمه بقى كبير وبكده زاد الشغل عليا أكتر واكتر.. وبعدين يا نادين كل ده عشان مين.. عشان عمرك ما تحسي انك أقل من أي حد حواليكي.. عشان عمرك ما تحسي اني حارمك أو حارم بنتي من حاجة.. أنا بعمل كل ده علشانكم.

–بس انا بتكلم في إحساس يا حسن.. إحساسي انك بعيد عنِّي أنا ولميس تاعبني.. أنا مخنوقة أوي.

–زي ما انا بتعب وبستحمل تعب الشغل.. إنتي كمان لازم تستحملي انشغالي عنكم.

–زهقت.. أنا مبعملش أي حاجة واليوم طويل عليا.

–محسساني اني حابسك في البيت.

–الفراغ يا حسن.. الفراغ اللي انا فيه خنقني.

–اشغلي فراغك.. عندك النت وعندك الكتب في المكتبة ولو عايزة تشتركي في أي نشاط خيري معنديش مانع.

–وانت.. مش هتحاول خالص تدينا شوية من وقتك؟

–أنا هحاول.. بس انتي عارفة ان وقتي مش ملكي لوحدي.. أنا ببقى نايم وتليفون بينزلني اجري.

–عندك منى.. أو جيب دكتورين تلاتة يشيلوا عنك الشغل شوية.

–يعني واحدة بتتابع معايا حمل 9 شهور اجي ساعة الولادة أقولها معلش أصل عايز انام روحي لدكتور تاني.

–متتريقش عليا يا حسن.

–مش بتريق بس بعرفك إن الحامل بتكون عايزة الدكتور اللي هي مطّمنة له وعارف كل حاجة عن حَملها مش دكتور لسه بتشوفه لأول مرة.

-والحل؟
-أنا أي وقت فاضي فيه يبقى ملككم انتم.. غصب عنِّي يا نادين.
صمتت نادين بعدما شعرت أن الكلام لا جدوى منه، ولا يوجد حلول فحسن معذور وعقلها مقتنع تمام الاقتناع بكلامه.. أما مشاعرها كزوجة تريد زوجها، لا علاقة لها بما اقتنعت به.

ساد الصمت بينهما.. اقتربت سيدة تبدو في الثلاثينات منهما على استحياء
بدأت السيدة كلامها:
-صباح الخير.. مدام نادين؟؟
ابتسمت نادين ابتسامة مرتعشة وهي تهز رأسها إيجابًا وتنظر لحسن الذي رأته يشيح بنظره عنها ويتجاهل الموقف.
أردفت السيدة التي لم تلحَظ نظرات نادين لحسن:
-أنا مبسوطة أوي اني شفتك النهاردة.. أنا وجوزي بنحبك أوي.. كل فيلم ليكي كان بينزل لينا معاه ذكريات من أيام خطوبتنا.. مش هترجعي تاني؟؟
ردت نادين وهي تختلس نظرة سريعة لحسن الذي عقد حاجبيه استياءً:
-ميرسي أوي.. بس الحقيقة أنا اتفرغت تمامًا لبيتي.
علقت السيدة وهي تصافح نادين:
-خسارة.. بس المهم انك مبسوطة.. أسفة لإزعاجك.. بعد إذنك.
انسحبت السيدة بعد أن تركت صمتًا يحمل صخبًا يدور في رأس كل من نادين وحسن.. حسن وعلى مدى السنوات مازال يضيق بمن يقتحم خلوتهما حتى وإن كان للحظات بسيطة.. أما نادين فتلك اللحظات كانت تسعدها كثيرًا ولكنها تتألم من رد فعل حسن.
تجاهَل كل منهما الموقف.. نظر حسن لساعته:
-يالا عشان ورايا شغل.. هوصَّلك البيت ولَّا تيجي معايا المركز وترجعي بعربيتك؟

(3)

جلس أسامة على السفرة بينما كانت والدته تحضِّر له الإفطار.. لم يستطع أن يرفض طلب والدته أن يشاركها إفطارها قبل أن تأخذ دواءها.. جلس مقررًا أن يشاركها الطعام؛ إرضاءً لها فقط. أما هو فلا شهية لديه كما لم يستطع النوم من بعد مغادرة منى للمنزل.

لم تتطرق مشاكلهما يومًا لهذا الحد منذ زواجهما.. يعترف بينه وبين نفسه أنه فقد أعصابه وأنه لم يقصد المعنى الحرفي للكلمة عندما رد عليها منفعلًا: "أمي عندي قبل الناس كلها حتى انتي.. ده بيتي وبالتالي يبقى بيتها.. لو مش عاجبك مع السلامة".

سمع خطوات والدته تقترب.. جلست وبدأت حديثها وهي تناوله الشاي:

-افطر يا حبيبي انت بتتعب وبتيجي متأخر.. هي فاكرة لما تنزل كده مش هتلاقي حد يعملَّك حاجتك.. ده انا عنيا ليك.

-شكرًا يا ماما .. متتعبيش نفسك في حاجة في البيت.

ردَّت وهي تنظر حولها متأففة:

-مبتعبش أنا مش التنظيم.. بقى بذمتك مش ترتيب البيت كده أحلى ما كانت مراتك عاملاه.

-كويس.. كله كويس.

-كويس ايه.. ده انا الناس كلها بتحلف بترتيبي للعفش.. ده انا مكنش بيعدِّي سنة من غير ما ادور البيت واخليه زي الجديد.. انت من ساعة ما اتجوزت وكل حاجة ف مكانها.. إيه مبتزهقوش.

-عادي يا ماما.

-عادي يا ماما!! إنت هتعمل زي مراتك وبدل ما تقولِّي شكرا تقولي شيلتي الحاجة من مكانها ليه.. الحق عليا اللي فاكرة ان ابني هينصفني مش ينصف مراته عليا.. أنا اللي تعبت وربيت ابقى زي الغريبة.

أسامة يقدِّر تمامًا تضحية والدته الأرملة التي توفى زوجها في شبابها وأفنت شبابها وحياتها في تربية أبنائها "أسامة، وأماني". منذ تفتحت عيناه على حقائق الحياة وهو قطع عهدًا على نفسه بأن يعوضها جزاء تضحيتها بكل ما في وسعه. اجتهد في دراسته ليرضيها ويسعدها، ابتعد عن أي صديق له لم تحبه والدته.. فقط إرضاءً لها.. سمع كثيرًا من ينعتونه بأنه "ابن امه".

لم تؤثر به مطلقًا تلك الكلمة أو تؤثر على علاقته بوالدته

فكل ما يفعله يقوم به برضا واقتناع تام غير مُجبر من والدته، كل ما هنالك أنه يحب والدته ويحب إسعادها ويعتبر نفسه المسئول الأول عنها.. غير مبالي بما قد يقال أو يُفسَّر.

مدَّ يديه ربت على يديها:

–تسلم إيدك طبعا وأكيد البيت كده أحلى.. بس انا مش عايزك تتعِبي نفسك.

–ولَّا عشان مراتك مش عاجبها؟

–لأ طبعًا علشانك انتي.

–ربنا يخليك ليا يا ابن عمري ويحنن قلبك كمان وكمان.

نهض أسامة من مكانه:

–أنا نازل.. عايزة حاجة اجيبها وانا جاي؟

–إنت مكلتش حاجة.

ردَّ كاذبًا:

–لأ أكلت وانتي بتعملي الشاي.

تبعته حتى باب المنزل.. وقبل أن يغادر سألته:

–هيَّ مراتك راحت فين بدري كده.

–معرفش مكلمتهاش.

–يعني ايه متعرفش.. هتروح فين وهيَّ لا ليها أم ولا اخوات.

–يمكن راحت المركز.

ردت مكررة كلماته بسخرية:

–رااااحت المركز.. آآآآه.. طيب.

–أصل هتروح فين يعني.

–انا اعرف بقى.. بقولك إيه.. خلى بالك.. انا مش عارفة انت ازاي سايبها كده.

–كده اللي هوَّ ازاي؟

–من ساعة ماجيت وانا شايفاك لا بتسألها رايحة فين ولا جاية منين.. بتيجى متأخر وتنزل أي وقت هي عايزاه وانت عادي كده.

–شغلها ياماما.

–وانت جوزها يا أسامة.. جوزها اللي أهم من شغلها ده لو كل الوقت في شغلها فعلا.

سأل والدته بشك:

–تقصدى ايه؟
أشاحت بيديها وهي تتظاهر بعدم الاهتمام:
–أنا مالي.. لا اقصد ولا مقصدش.. انت مش صغير.

خرج أسامة وهو يفكر في كلام والدته.. على مدى خمس سنوات سابقة هي مدة زواجه لم يسأل منى قَط عن موعد رجوعها أو وجهتها.. تردد صوت بداخله"ما انت مكنتش بتسألها عشان هي طول عمرها بتسبق وتقولك على كل تحركاتها من غير ما انت تسأل".

أدار محرك السيارة.. لم يَدُر معه، جرب مرة أخرى بدون جدوى، نظر في ساعته وجد أنه قد يتأخر على عمله.
نزل من السيارة وأغلقها.. ووقف ينتظر تاكسي وهو يردد بينه وبين نفسه:"هلاقيها منين ولا منين.. ومنى دي كمان ايه حكايتها وكلام ماما ده تقصد بيه ايه.. تكون شاكة في حاجة ومش عايزة تقولِّي".

****

دخلت والدة أسامة المطبخ.. رتبته وأخرجت ما تنوي طهيه للغداء، ذهبت لباب الشقة.. أغلقته بالترباس، ثم دخلت حجرة نوم منى.. وقفت برهه على الباب تنظر حولها لكل مكونات الغرفة من أثاث. جلست على أحد طرفي السرير في الجهة التي تنام بها منى، بدأت في تفتيش أدراج "الكومودينو" باهتمام بالغ، لم تجد ما يثير الاهتمام.. نهضت متجهه لدولاب منى. ظلت تفتش ماظهر منه وما بطن ولم تترك أي جزء حتى بين طيات الملابس فتشت فيه، كانت تبحث عن هدفٍ محدد.. لم تعر

انتباها لأية أوراق أو نقود أو ألبومات وجدتها أثناء بحثها، كان هدفها محددًا للغاية.. هي تبحث عن مقصدها فقط.. بين كل أغراض منى لم تجد هدفها.

جلست برهة تفكر.. ثم حسمت قرارها بإعادة البحث، ولكن هذه المرة في أغراض أسامة. بدأت بـ "الكومودينو" كما فعلت منذ قليل ولم تجد شيئًا.. ذهبت للدولاب وبدأت البحث بين أرفف ملابس أسامة.
في الرف الأخير وقبل أن تنتهي، وجدت في آخره وتحت محتوياته شريط أقراص، شعرت أنها وجدت ضالتها المنشودة بالرغم أنها قلبت الشريط بيديها ولم تفهم منه شيئًا.

ابتسمت بانتصار ورددت بينها وبين نفسها:" أنا كنت حاسة.. ياعيني عليك يا بني وكمان مخبياه ف حاجتك .. أه منك يا منى يا مكّارة.. صحيح ياما تحت الساهي دواهي".

أخذت شريط الأقراص معها في المطبخ.. وضعته فوق الثلاجة وبدأت في طهي الطعام وانتظار أسامة.

****

قبل المغرب بقليل.. عادت منى منهكة كل آمالها أن تلقي نفسها على سريرها وتذهب في سبات عميق لا تفيق منه إلا بعد أيام. شعرت بالجوع عندما شمت رائحة الطعام الشهي الآتية من المطبخ.

لحظات فتحها للباب وإغلاقه تمنت أن تنهي طعامها سريعًا وتذهب فورًا للنوم. تلفتت على صوت التليفزيون ووجدت حماتها تجلس تشاهد أحد المسلسلات.. ألقت التحية ولم تسمع ردها.

دخلت حجرتها.. كل شيء كما هو.. بدَّلت ملابسها بأكثر ملابس بيتها راحة..
كم تشتاق للراحة.. طيلة الفترة الصباحية في المركز تتنقل من سرير لآخر لتنعم بالنوم، ولكنها لم تقتنص سوى نوم متقطع يثير أعصابها أكثر مما كانت، حتى دبت الحركة وازداد العمل وبدأت الانهماك في العمل وأصبح لا مجال للراحة.

انتهت من أخذ حمامها.. ذهبت للمطبخ، وقفت أمام البوتاجاز، رفعت غطاء إحدى الحلل، انتفضت على صوت حماتها خلفها تسألها:
-بتعملي إيه؟
وقبل أن تبتلع منى لعابها أردفت حماتها قائلة:
-انتي مقلتيش انك جاية ع الغداء فمعملتش حسابك.. مفيش غير غداء أسامة.
شعرت منى بسخونة الدم في وجنتيها من الإحراج، آخر ما كانت تتوقعه أن تتعرض لمثل هذا الموقف.. في بيتها.

تظاهرت بالتماسك..
-أنا اتغديت خلاص .. أنا كنت بشوف لو حاجة عايزة تتحط في التلاجة قبل ما انام.
-انتي هتنامي؟
-أيوة.. هو أسامة فين؟
-لسه مجاش م الشغل.
-غريبة!
-ليه.؟
-أصل عربيِّته راكنة تحت.

وردت والدته مذعورة:

-ايه؟؟ عربيته تحت وساكتة؟

خرجت مسرعة من المطبخ بينما منى تتعجب من رد فعلها المبالغ فيه. تبعتها منى بهدوء.. وجدتها تتصل بلهفة.. استنتجت أنها تتصل بأسامة

وبالفعل بعد قليل سمعتها:

-أيوة يا أسامة.. إنت فين يا حبيبي؟؟ طيب أصل اتخضيت.. أه الغدا جاهز هسخَّن لك حالًا.. مع السلامة.

أغلقت الخط وعادت إلى المطبخ متجاهلة وجود منى، سألتها منى وهي تمر بمحاذاتها:

-هو فين؟

-طالع اهو.

-كان فين؟

-في الشغل؟

-كان في الشغل وبعدين جه ؟.. ولما ساب العربية راح فين؟

-العربية كانت عطلانة ومخدهاش.

-طيب.. بعد إذنك.

دخلت منى غرفتها.. ألقت نفسها على سريرها، وسمحت للدموع التي خنقتها بأن تتحرر من عينيها.

سمعتْ صوت باب الشقة يُفتَح ويُغلَق، وصوت أسامة ووالدته.. حتى اقترب أسامة من باب غرفة النوم. فتح الباب ودخل وأغلقه خلفه.. وبدون أن يلقي عليها التحية، سألها مباشرة:

-كنتي فين طول اليوم يامنى؟

ردَّت دون أن تلتفت له ومازالت دموعها تنحدر:

-في الشغل.
-من الصبح بدري في الشغل.
-أيوة.. ومش قادرة اعاتب ولا اتكلم في اللي حصل يا أسامة.. أنا تعبانة وعايزة انام.
شعر بصوتها مرهقًا.. لم يكن سوى صوت مختنق بالدموع ولكنه لم يلحظه.
بدَّل أسامة ملابسه وخرج من الغرفة بهدوء.

****

جلست والدة أسامة معه أثناء تناوله الطعام، كانت مترددة بعض الشيء.. فبادرها بالسؤال:
-مالك يا ماما.. عايزة تقولي حاجة؟
ترددت.. ثم أجابت:
-أيوة يا أسامة.. أنا من زمان شاكة بس اتأكدت.

كاد أن يقف الطعام بحلقه.. فقد ربط بين كلامها صباحًا وكلامها الآن
ماذا تقصد؟؟ وماهي تلك الشكوك؟؟حبه لمنى مازال كما هو، وثقته بها أيضًا
ماذا لو كانت الاستنتاجات حقيقة؟
ازدرد طعامه بصعوبة.. وتناول قليلًا من الماء، وبصوت يخشى أن تتحول أفكاره حقيقة:
-اتأكدتي من ايه؟ وازاي؟
مالت والدته عليه قليلًا.. وهمست له:
-مراتك مش مُريحة.. مفيش ست تفضل متجوزة 5 سنين ومحبلتش وهيَّ كمان دكتورة نساء.

اطمأن أسامة أن استنتاجه مجرد هاجس ووسوسة شيطان، ابتسم لوالدته مطمئِنًا لها وأكمل طعامه:
-كل شيء نصيب ياماما.. هي دكتورة آه بس الحمل ده بتاع ربنا.
أعادت كلامها مرة أخرى بنفس اللهجة التحذيرية:
-أنا اتأكدت انها قاصدة متخلفش منك.. وانا هثبتلك.

نهضت من مكانها.. دخلت المطبخ وعادت بعد دقائق بشريط الأقراص ومدت يديها به لأسامة:
-أهو.. بتاخد حاجة تمنع الحمل من وراك.
بمجرد أن وقع نظر أسامة على الأقراص.. هبَّ واقفًا وهو يأخذهم منها:
-إيه ده.. لقيتي ده فين؟
ذعرت الأم من لهجة ابنها الحادة.. أسامة العصبي مع كل الناس كان يضبط أعصابه عندما يتعلق الأمر بوالدته.. ماذا حدث اليوم ليتبدل حاله؟!
ردَّت باستغراب في نفس الوقت الذي جاءت منى جريًا على صوته.
الأم: انت بتزعقلي؟!
منى: فيه ايه؟
صاح أسامة وهو يلقي بالأقراص على الأرض:
-جبتي ده منين؟؟ بتعملى فيا كده ليه؟!
ردت والدته وهي تبكي:
-بتحاميلها عشان معرفش الحقيقة.. بتعمل كده في امك يا أسامة.. يا خسارة تعبي وشقايا وشبابى اللي ضحيت بيه علشانك انت واختك.
لم يرد أسامة وقبل أن تكمل حديثها كان دخل حجرته وبدَّل ملابسه في سرعة البرق.

أما منى فبعد أن وقعت عيناها على الأقراص.. وكل ما يمر حولها بسرعة في ظِل إرهاقها يجعلها تأخذ وقتًا لاستيعاب ما يحدث حولها. بعد أن تناولت الأقراص من على الأرض، وجدت أسامة يخرج مندفعًا من غرفة النوم حتى الباب
لحقته منى وهي تنادي عليه متلهفة:
–استنى يا أسامة.. استنى عايزاك.
لم تفلح كلماتها في استيقافه.. بينما كانت والدته صوتها يعلو من الغرفة وهي تبكي وتندب حظها العاثر بابنها الذي ثار لزوجته وأغضب والدته.
ذهبت منى لمحاولة تهدئتها.. وجدتها حزمت حقيبة ملابسها.
–أنا هبعت البواب ياخد الشنطة.. مش قاعدة لكم.. بكرة هتبقي لوحدك زيي كده ومتلاقيش حد يسأل فيكي.
ردت منى بألم:
–ليه كده؟؟انا عملت ايه بس.
–قلبتي ابني عليا منك لله.. ابني عمره ما زعق في وشي كده ولا كان حتى بيرد عليا.. نزلتي الصبح ياعالم رُحتي فين وعملتي ايه رجعتي الواد اتبدِّل.
–استغفر الله العظيم يارب.. هروح فين بس أنا نزلت عشان مكبَّرش المشكلة.. اطمنى ابنك قالهالي صريحة لو اخترت هختار امي وانا مش بخيَّره بيني وبينك.. أنا معرفش الشيطان اللي دخل بيننا ده ايه.
–اااااه.. الشيطان.. طيب ياختي الشيطان اللي تقصديه سايبلك البيت.
ردت منى بسرعة مصححة ما لم تقصده:
–والله ما اقصد كده خالص.. أنا قصدي شيطان ساعة زعل يعني.
–بت انتي..
–بت؟؟!!
–غلطت في الست الدكتورة.. طيب يا دكتورة.. اشبعي بيه وانا غضبانة عليكم انتم الاتنين.

اتجهت والدة أسامة للباب بسرعة دون أن تنتظر ردًا. فتحت الباب وتركته وراءها مفتوحًا. جلست منى تفكر فيما حدث وما ستجره إليها الأيام التالية. بعد دقائق سمعت رنين الجرس.. نظرت للباب المفتوح وجدت البواب:

–الشنطة بتاعة الحاجة؟

شاورت له منى بأن يتقدم ويأخذها من الردهة.. غادر البواب ونهضت منى وأغلقت الباب خلفه.

دخلت غرفتها.. بحثت عن مسكن للصداع الذي تعانيه من الإرهاق وقلة النوم.. وجدت المسكن.. تناولته، ثم أخذت نفسًا عميقًا بعد أن قررت أن تتصل بأسامة لتعرف أين ذهب وتخبره بمغادرة والدته.

اتصلت.. بعد أول جرس رنين، أغلق المكالمة في وجهها وأغلق الهاتف كله مما زاد من قلقها.. من المستقبل القريب.

(4)

استيقظت لميس على صوت أم خالد:

–لميس.. قومى يا لميس بقينا المغرب.

ردَّت لميس من تحت وسادتها:

–بتصحيني ليه.. سيبيني انام.

-بقينا المغرب قومي ربنا يهديكي.

أزاحت لميس الوسادة من على رأسها.. ونظرت لأم خالد:

-ربنا يهديني؟؟ أنا مش عارفة انتي حطاني في دماغك ليه؟

ضحكت أم خالد وهي ترتب السرير بعد أن نهضت لميس:

-وانا ليا مين غيرك دلوقتي اخلِّي بالي منه واخاف عليه.. الأول كنت ملبوخة بعيالي وشايلة همهم.. دلوقتي فضيت لك.

رجعت لها لميس مرة أخرى بعد أن كانت اقتربت من الباب:

-تصدقي.. انتي أينعم بتخنقيني بس لما كنتي بتروحي بيتك كنتي بتوحشيني وانا دلوقتي مبسوطة أكتر لما بقيتي قاعدة معانا على طول.

ضمتها أم خالد ضمة حانية:

-إنتي روِح قلبى يا لميس.. يا بنتي انا خايفة على صحتك.. زمان كنا بننام بدري وبنصحى بدري وبناكل أكل طبيعي كانت صحتنا كويسة.. انما انتوا زمانكم ده بالأكل اللي بتاكلوه ده بيخليكم شوية برد يرقدوكم.

-متخافيش عليا.. هدخل الحمام واعمليلي شوية "شوكوبوبس" بلبن ساقع.

-شوكوبوبس ايه.. بقولك احنا المغرب.. أنا هحضرلك الغدا تتغدي مع مامتك.

-هى ماما متغديتش لحد دلوقتي؟

-ولا باباكي اتغدى.. واتصل قال جاي فقلت اصحيكي تتغدوا انتوا التلاتة مع بعض.

-ينفع كده يعني.. هفضل ابوسك كل شوية.

قبَّلتها لميس بفرحة وأكملت:

-كويس أووووي انك صحتيني أنا عايزة بابي ضروري.

أثناء جلوس حسن ونادين ولميس على الغداء في بداية المساء، كان الإرهاق باديًا على وجه حسن وعينه تكاد تكون مغلقة، سألته نادين بقلق:

-حسن.. مالك انت مش قادر تفتَّح عينيك؟

-هموت وانام يا نادين.. تعبان أوي.

-يا حبيبي.. إنت فعلا الليلة اللي فاتت ملحقتش تنام.. اتغدى وقوم نام.

-عندي مواعيد في المركز مينفعش.

-اتأخر.. هيحصل ايه يعني.. أو حد يكشف عليهم.. منى فين؟

-منى مشيِت قبل ما امشي بشوية.. هي كمان تعبانة وقالت مش جاية النهاردة.

لميس تتابع حديثهما بهدوء وهي تتناول الطعام:

-هي منى مالها يا حسن؟

-حماتها عاملة معاها مشاكل وقلتلها اتدخل واكلم أسامة قالت لا.

-الأحسن انك متتدخلش إلا لو طلبت منك.

حسن وهو يوجه حديثه للميس:

-مالك؟؟ ساكتة ليه؟

-مستنية لما تفضى لي يابابي.

نظر حسن لنادين نظرة عتاب.. فهمتها نادين فردت على لميس وكأنها تنفي عن نفسها التهمة التي وجهها لها حسن بنظرته:

-ليه يا لميس.. بابي اهو معانا وكل ما بيكون فاضي بيبقى معانا.

-يعني هنسافر امتى؟

نظرت نادين لحسن ثم نظرت للطبق وهي تتناول منه الطعام.. بعد أن ألقت الرد بين يدي حسن .

ردَّ حسن على لميس:

-ان شاءالله قريب.

-امتى يعني؟

-مش عارف يا لميس.. لو عايزين تسافروا انتوا سافروا.

ردّت نادين:

-مش هينفع اسيبك لوحدك.

ردَّت عليها لميس:

ليه يامامي.. ما احنا كتير بنسافر لوحدنا.

–مش هينفع اليومين دول يا لميس.. إلا لو سافرنا كلنا مع بعض.
لميس مستاءة:
–يعني ايه.. لا عارفين نسافر مع بعض ولا انا وانتي؟
–لولو حبيبتي.. في أقرب وقت هحاول اظبط شغل المركز مع منى ونسافر.
أنهى حديثه وهو ينهض منتهيًا من طعامه، تبعته نادين، فاستوقفتها لميس:
–هتيجي معايا النادي ولا اروح لوحدي؟
–هنروح بس مش دلوقتى.. لما بابا ينزل.
–وانا لسه هستنى لما ينام ويقوم وننزل.. أنا متفقة مع وعد هنروح الساعة 8 بالكتير.
–استني شوية الدنيا مش هتطير.

تركتها ودخلت غرفتها.. وجدت حسن مازال بملابسه، جالسًا على الكنبة مسنِدًا رأسه للخلف، اقتربت منه وجدته نائمًا، لمسته بهدوء لتوقظه:
–حسن.. قوم يا حبيبي غيَّر هدومك ونام شوية.
استيقظ حسن وهو يحاول إفاقة نفسه:
–قولي لام خالد تعملي كوباية قهوة يا نادين لو سمحتي.
–مش هتنام؟
–لا.. هشرب القهوة واخد دش كده يفوَّقني والبس وانزل.
–يا حسن حرام عليك صحتك يا حبيبي.
–ما انا فعلا مش قادر.. هحاول اخد الكشوفات المهمة واخلَّص بدري واجي انام.
–وافرض جت أي حالة مستعجلة.
–يبقى أمري لله هعمل ايه.. ربنا يستر ومتجيش أي حالات النهاردة.
–طيب انا هعملك القهوة.. أجيبهالك هنا ولا ف المكتب.
–ف المكتب.

خرجت نادين من غرفتها واتجهت للمطبخ، تبعتها لميس وحدثتها وهي تعد القهوة:

-هتنزلي معايا؟

-مش دلوقتي يا لميس.

-طيب انا افضل قاعدة اعمل ايه.. وعد كلمتني ورايحة دلوقتي.. أروح معاها؟؟

-مين هيوديها؟

-وائل اخوها هيوصلها.. أخليهم يعدوا عليا.

ردت نادين بضيق:

-طيب يا لميس.. كفاية زن بقى.

دخلت أم خالد المطبخ:

-أعمل القهوة للدكتور يا مدام؟

-لأ يا ام خالد.. أنا عملتهاله خلاص.. لميييس معاكي فلوس؟

-لأ.

-طيب روحي خدي من شنطتي.. متقلقيش بابا دلوقتي.

-ميرسي يامامي.

دخلت نادين بالقهوة مكتب حسن.. لم يكن أنهى حمَّامه بعد، وضعت القهوة على المكتب وجلست تنتظره.. دقائق ودخل حسن.. جلس على المكتب، نظرت له نادين بإشفاق وسألته:

-فوقت؟

-شوية.

-أنا عملتلك القهوة تقيلة عشان تفوقك شوية.

-تسلم إيدك يا حبيبتي.

سمعا صوت باب الشقة يُغلق.. سألها:

-حَد جاي لك؟

-لأ أكيد لميس نزلت.. راحت النادي.

-إنتي نازلة؟
-أه ومش هتأخر إن شاءالله.
صمتت لحظات وسألته برجاء:
-حسن.. مابلاش تنزل النهاردة.
-ليه؟ هي أول مرة ابقى مرهق واشتغل؟
-انت بقالك كام يوم نومك قليل أوي وامبارح ملحقتش تنام 3 ساعات على بعض.. حقك ترتاح.
-متقلقيش يا حبيبتي.
نهضت نادين مستسلمة.
-هسيبك لو عايز تقرأ ولا حاجة.. لو عايزني ف حاجة أنا قاعدة برَّه.
-ربنا يخليكى ليا يا أحن إنسانة في الدنيا كلها.
-ربنا يخليك انت لينا ويقويك.
-يعني خلاص مش زعلانة مني ومقدَّرة انشغالي عنكم.
-أنا مقدرش ازعل منك يا حسن.. أنا مليش غيرك في الدنيا، إنت ولميس.
ابتسم لها حسن.. أرسلت له قُبلة وهي تغادر المكتب.
-مش هعطلك أكتر من كده.

****

وصلت لميس النادي مع صديقتها وعد. اتجهتا للكافتيريا.. وعيناهما تبحث في كل مكان، أشارت وعد بيدها نحو إحدى الطاولات:
-أحمد موجود اهو.

اتجهتا نحو أحمد؛ شاب نحيف وطويل يجلس مع فتاة.

أحمد صديق مشترك لوعد ولميس منذ ثلاث سنوات، ولكن في السنة الأخيرة تطورت الصداقة بين أحمد ولميس، حتى صارحها بإعجابه بها وحبه لها.. لميس ذات الأربعة عشر ربيعًا والتي تخطو أولى خطواتها نحو المراهقة بمشاعر طبيعية
كلمات أحمد بالنسبة لها كانت كنسمة رقيقة هبَّت في صحراء قلبها الذي كان يتوق للحب ومشاعره بصفة عامة. وجود أحمد في حياتها وتقرُّبه منها أوجد في حياتها وقلبها مكانًا له، لم تكن لديها أية محاولات لصد هذا الحب ولا التفكير في مصيره. أحمد الذي يكبرها بثلاث سنوات والذي أتم عامه السابع عشر منذ شهر مضى، تراه الرجل الذي ستكمل حياتها معه، تأخذ حب والديها مثالًا للحب، وترى في تفاني والدتها في حب والدها وطاعتها له والعمل على إسعاده نموذجًا يُحتذَى به في أية علاقة ناجحة.

عندما رأت تلك الفتاة التي لا تعرفها تجلس مع أحمد دبَّت الغيرة في قلبها وانعكست مشاعرها على ملامح وجهها.. فعبست رغمًا عنها. اقتربت لميس ووعد من الطاولة التي يجلس عليها أحمد ورفيقته، عندما رآهما تهللت أساريره وقال مُرحِّبًا:
-اتأخرتوا ليه؟
نظرتا للفتاة الأخرى بتعجب.. فبادرهما أحمد:
-تعالوا اعرفكم على لبنى صاحبتي معايا في درس العربي.. لميس ووعد صاحباتي.
جلسوا جميعًا.. التزمت لميس الصمت من ضيقها.. لم تبدأ بفتح أي حوار كانت تكتفي بالرد المختصر فقط، وبعد نصف ساعة ثقيلة على لميس استأذنت لبنى في الانصراف ونهض معها أحمد ليوصلها حتى باب النادي.

بعد انصراف أحمد ولبنى، بدأت وعد حديثها:
-ايه البوز ده يا بنتي.. مش كده.
-إنتي مش شايفة يعني قاعد مع واحدة ويقولِّي صاحبته وقايم يوصَّلها.
-عادي يا لولو ما احنا لينا اصحاب.

-أيوة بس من يوم ما ارتبطنا وانا مبقعدش مع حد لوحدي عشان ميتضايقش هو كمان المفروض يعمل زيي.
صمتت وعد بعد أن عجزت عن الرد.

عاد أحمد بعد قليل.. جلس معهم وسأل لميس:
-مالِك؟
-انت مش عارف مالي يعني.
أُحرجت وعد فاستأذنت:" أنا هروح لوسام اختي اشوفها هي زمانها عندها تمرين".
انصرفت قبل ان يرد أحدهما عليها.
كرر أحمد سؤاله للميس:
-مالك.. وايوة مش عارف في ايه.. انتي مكلماني لما صحيتي وكنتي عادية مفيش حاجة.
-مين دي اللي قاعد معاها.
-ما انا قلتلك صاحبتي في الدرس.
-درس ايه يا احمد.. هو انت لسه بدأت دروس؟
-درس العربي السنة اللي فاتت وهناخد درس مع بعض السنة دي كمان.
-مقلتليش يعني ان ليك صاحبات من الدروس.
-عادي.. انتي عارفة ان أي مكان بكون فيه بيكون ليا اصحاب.
-أصحاب مش صاحبات.
-أصحاب أو صاحبات.. هتفرق ف ايه يعني.
-اشمعنى انا بتقولي مكلمش ولاد.
-لا مقلتش متتكلميش.. اتكلمي ف حدود ضيقة أوي.
-اشمعنى انت بتتكلم ف حدود واسعة أوي.
-أنا بغير عليكي.
-يعني انا مبغيرش؟!

-آنا مبحبش حد يقولِّي اعمل إيه ومعملش إيه يا لميس وانتي عارفة ان ليا اصحاب كتير ومش همنع نفسي منهم ولسه هيبقى عندي اصحاب أكتر لما ادخل الجامعة ومبحبش حبيبتي يكون ليها اصحاب ولاد.. عندك أي اعتراض؟

صمتت لميس وهي مستاءة من سياسة الأمر الواقع.

نظر لها أحمد وأردف قائلًا وهو يتركها بمفردها:

-خليكي مبوزة كده.. أنا ايه اللي يقعدني معاكي بالنكد ده.

نظرت له لميس وعاتبته وصوتها مختنق بالعبرات:

-أنا نزلت مخصوص ومستنيتش مامي عشان اجي اقعد معاك.. تقوم تسيبني وتمشي.

عاد أحمد مرة أخرى وجلس معها:

-خلاص يا لميس.. بس متكرريهاش تاني.. أنا مبحبش حد يبقى وصي عليا.. ده بابا معملهاش معايا هتعمليها انتي.

-خلاص أنا أسفة.. متزعلش مني.

-خلاص مفيش حاجة.. عملتي ايه ف السفر.

-بابي مش فاضي ومقالش معاد محدد.

أقبلت عليهما وعد وجلست وهي تقول:

-لسه مخلصتش التمرين.

نظرت وعد لكل من أحمد ولميس.. وسألتهما:

-مالكم.. متخانقين ولا ايه؟

ردَّ أحمد:

-أنا عملت اللي عليا.. حاولت اخليهم يأجّلوا سفرنا مارينا شوية منفعش.. وأساسا كنا هنصيف في شرم السنة دي بس انا أقنعتهم نروح مارينا عشان لميس.. تيجي الهانم وتقولِّي أنا مش عارفة هيسافروا امتى.. يعني على ما احنا نروح ونرجع تكون هي لسه هتسافر وبدل ما نقضي الصيف مع بعض يبقى كل واحد ف حتة.

لميس مبررة موقفها:

-اعمل ايه طيب.. حاولت اقنع مامي نسافر احنا منفعش.. وبابي وعدني انه هيفضى نفسه ومحددش.

-اشمعني المرة دي مش عايزة تسافر معاكي؟

-أكيد عشان عيد ميلاد بابي قرّب.. هي قالت لو كنا هنسافر كلنا مع بعض ماشي إنما لو احنا لوحدنا يبقى نستنى شوية فانا فهمت هي مش عازة تسافر ليه.

-مش مشكلتي دي بقى.. أنا عملت اللي عليا وغيرت مصيف السنة دي.

عقبت وعد على كلامهما قائلة:

-أنا عندي فكرة.

انتبها لها منتظرين سماع فكرتها.. فأكملت:

-احنا مسافرين الأسبوع الجاي.. لميس تسافر معانا وطنط تبقى تحصلنا براحتها.

أحمد: قشطة جدًّا.

لميس: تفتكرى مامي هتوافق؟

أحمد يزفر بنفاد صبر:

-لأ بقى كده كتير.. إنتي مش قادرة تقنعيها بحاجة أبدًا.. عايزين نقضّي المصيف مع بعض.

لميس: هحاول اقنعها ويارب توافق.

وعد: لما تيجي هقولها ولو رفضت هخلّي ماما تحاول معاها كمان.

****

بعد عودة نادين ولميس من النادي.. دخلت لميس خلف نادين غرفتها وسألتها:

-هااا.. قلتى ايه؟؟ أحضّر نفسى؟

-لميس.. انتي بقيتي زنانة كده ليه.. بقيتي أُوفر.

-مامي حبيبتي، أنا زهقانة ومش معقول..

قاطعتها نادين:

-زهقانة من ايه.. إنتي عندك كل وسائل الترفيه وتقوليلي زهقانة.. احمدي ربنا يا لميس أنا مبحبش كده.

-الحمدلله والله مقلتش حاجة.. بس يرضيكي يعني اصحابي يسافروا يصيفوا وانا ابقى قاعدة هنا محبوسة في البيت وعلى ما بابي يفضى يكون اصحابي رجعوا واروح انا ابقى لوحدي هناك.

-إشمعنى السنة دي انتي مصممة نسافر.. كل سنة عيلة وعد بيسبقونا واحنا بنحصلهم.

-مامي انتي مش عايزة تسافري عشان عيد ميلاد بابي؟

-أيوة.

-وإذا كان هو مش فاضي وممكن ينسى؟!

-ينسى براحته.. انا مقدرش انسى ولازم احتفل بيه زي كل سنة.

نظرت لميس لنادين وسألتها بابتسامة:

-بتحبيه أوي كده؟

تنهدت نادين وهي تنظر لصورتها مع حسن:

-بحبه!!.. طبعا.. حسن يبقى حبيبي وجوزي وعِشرة عمري.

صمتت لحظات وأردفت بنبرة حزينة:

-بس لو كان يديني شوية من وقته بدل شغله ماهو اخده مني كده كنت هبقى ف منتهى السعادة.

سألتها لميس للمرة العديدة فوق المائة:

-هاا.. هروح معاهم.. أحضَّر نفسي؟؟

-خلاص يا لميس.. لما استأذن بابا.. هي الساعة كام؟

نظرت في الساعة فسبقتها لميس بالإجابة:

-12 وربع.

أخرجت نادين هاتفها من حقيبتها:

–شفتي.. مفيش فايدة.. تعبان ونازل بالعافية وقال مش هيتأخر والشغل أخده محسش بنفسه والساعة داخلة على واحدة.

أردفت بعد قليل:

–التليفون مقفول.. يبقى أكيد جت له ولادة مستعجلة.

نهضت لميس:

–يبقى هيتأخر طبعا.. ولما يتأخر مينفعش اتكلم معاه وبينزل الصبح وانا نايمة.. أخد الرد ازاي انا دلوقتي؟

–هتكلم معاه الصبح واقولك.. هتنامي؟

–لا.. هقعد ع النت شوية.

قبل أن تخرج لميس من الغرفة.. فتحت أم خالد الباب فجأة دون استئذان.. وتحدثت بفزع:

–ارفعي السماعة يا مدام.. ردي ع التليفون.

سألتها نادين باستغراب:

–مين؟

تلعثمت أم خالد وهي تجيبها:

–ب.. بيق.. بيقول.. مستشفى.

رددت نادين وهي ترفع سماعة التليفون الأرضي بقلق

–قصدك المركز عند حسن يعنى؟.. آلو.. أيوة أنا مدام دكتور حسن.

صرخت نادين وهي تسأل الطرف الآخر:

–حادثة!!! حصل له ايه؟؟ أرجوك قولّي الحقيقة هو حصل له حاجة؟

بدأت الدموع تنهمر من عيني لميس وهي تسألها:

–بابى؟؟ ماله؟؟

ردت نادين على محدثها وسط بكائها:

–حالًا.. مسافة السكة.. مع السلامة.
لم تكن قد بدلت ملابسها بعد.. أخذت حقيبتها وركضت ولميس وأم خالد خلفها وهي تردد: "يارب اكون في كابوس.. يارب ميكونش ده كله بجد.. أنا مقدرش اعيش من غيرُه.. أنا ممكن اموت لو جراله حاجة".

(5)

قضت منى ساعتين بعد نزول أسامة مابين الاتصال به رغم إغلاقه الهاتف وبين انتظاره في الشرفة، حتى أنهكها التعب تمامًا وجلست تنتظره على السرير فنامت رغما عنها ورغم قلقها، استيقظت فزِعة على صوت لم تتبينه في البداية وبعد تركيز أيقنت أنه صوت زفة سيارات في الشارع. نهضت متباطئة وهي تنظر في الساعة وجدتها تخطت منتصف الليل بنصف ساعة فلم تشعر بنفسها ولا بالوقت في الساعات الماضية.
بحثت في الشقة على أمل أن تجد أسامة قد عاد ولم تسمعه،
فلم تجده.. أعادت الاتصال به وكانت النتيجة كسابقاتها؛ الهاتف مغلق.

ظلت تفكر فيم يمكن أن يكون حدث.. أو أين ذهب.. سيارته معطلة.. والدته تشاجر معها.. شقيقته في السعودية مع زوجها.. ترى أين ذهب؟؟ ظل لسانها يدعو الله أن يعود سالمًا ويطمئن قلبها عليه.
وقفت في الشرفة تنتظره.. تأخر الوقت وتألمت قدماها من الانتظار، زغللت عيناها من البحث بين المارة تارة وبين سيارات الأجرة التي تمر في الشارع تارة أخرى.
شعرت بالصداع.. عادت للسرير مرة أخرى، متمنية أن تطمئن حتى تستطيع أن تنام.
حدَّثَت نفسها:
–هوَّ انا كل ما اجي انام تحصل حاجة.. دماغي هتنفجر.

بعد قليل وأثناء تفكيرها، سمعت صوت باب الشقة، ابتسمت مطمئنة أن أسامة عاد وبخير. انتظرت مكانها وتظاهرت بالنوم لترى ماذا سيفعل.

سمعت وقع خطواته في الشقة.. تأخر قليلًا قبل وصوله لغرفة النوم فأيقنت أنه دخل يرى والدته في الغرفة الأخرى.. بعد قليل اقتربت خطواته من الغرفة.. أغمضت منى عينيها.
سمعته فتح باب الغرفة، ثم فتح الدولاب وأغلقه وخرج.

جلست منى بعد خروج أسامة.. تعجبت من دخوله وخروجه السريع ولم تفهم أين ذهب. أمسكت رأسها الذي يؤلمها وهي تفكر.. كيف تتصرف؟
نهضت متباطئة بعد أن اطمأنت أن أسامة مازال في الشقة لأنها لم تسمع صوت الباب، خرجت من غرفتها.. بحثت في المطبخ والحمَّام وانتهت بالغرفة الأخرى، وجدته قد بدَّل ملابسه ونام في الغرفة التي كانت تنام بها والدته. لم ترَ وجهه إن كان نائمًا أو مازال يقظًا.. استنتجت أنه لم ينم بعد.. اقتربت منه.. نامت بجواره.. أحاطته بذراعها.. التصقت به.. وألصقت وجهها في ظهره بعد أن قبلته.

لم يحرك ساكنًا.. ولم يبادرها الحديث.
فبادرت هي:
–قلقتني عليك أوي.. كنت رد عليا وبعدين اقفل التليفون.
ردَّ بنبرة حادة وهو يزيح يديها عنه:
–متقلقيش تاني.. كان لازم افكر لوحدي وخلاص فكرت وقررت.

جلس نصف جلسة وملامحه متجهمة.. جلست منى أمامه ونظراتها مثبتة على عينيه وسألته بتردد وترقب:
–فكرت ف ايه.. وقرار ايه اللي تقصده.

-نتطلق..

نطقها بسرعة وهو ينهض قائمًا من السرير وأكمل حديثه:

-أيوة انا خبيت عليكي عشان متخيرينيش.. غلطت اني خبيت عليكي كان لازم تعرفي كل حاجة وانتي تختاري.. كنت أناني ف تفكيري عشان بحبك وخايف اخسرك.. أنا هقولك على كل حاجة.

قاطعته منى ودموعها تنحدر:

-أنا عارفة كل حاجة من 4 شهور.

نظر لها بتعجب وعدم تصديق:

-عارفة ايه؟

-عارفة انك بتتعالج عشان اتأخرنا في الخلفة.

-عرفتي منين؟؟ الدكتور اللي روحت له يعرفك؟؟ هو اللي قالك؟؟ بس هو ميعرفش انك مراتي.

-محدش قالي.. أنا عملت تحاليل من سنتين ولما اتأكدت ان مفيش عندى أي حاجة تمنعني من الحمل سكت ورضيت ومحبتش أقولك تكشف عشان لو طلع عندك أي مشكلة متتضايقش.. لحد من 4 شهور لما شفت التحاليل اللي انت مخبيها..

التحاليل يا أسامة مفيهاش حاجة تقلق.. دي مشكلة عادية وعلاجها يمكن ياخد وقت.. وحتى لو مش هنخلف خالص أنا بحبك انت أكتر من طفل لسه معرفوش ومشفتوش.. أنا معرفتش الأمان إلا معاك انت.. أنا قلبي اتفتَّح على حبك انت.. إنت كل عيلتي اللي موعيتش عليها.. من يوم حادثة بابا وماما ولما خالتي الله يرحمها أخدتني عندها كانت هي وجوزها وحسن بيعتبروني واحدة من البيت بس أنا من جوايا كنت عارفة اني ضيفة وان بيتهم مش بيتي.. حسن طول عمره بيعاملني كأخته بس فرق السن الكبير اللي بيننا خلاني مفتقدة وجود الاخوات.. انت دخلت حياتي كنت كل عيلتي اللي اتحرمت منها.. شفت فيك الأخ والحبيب والزوج والابن كمان..

مبحسش بالأمان والراحة إلا ف بيتنا.. مبحسش بطعم الحياة إلا وانت فيها.. كل ده تقولِّي بكل بساطة قررت نتطلق؟!

أسامة كان يسمعها وهو يقف أمام الشباك نظراته معلقة بالفضاء لا يفصله عن الخارج سوى الرؤية الضبابية التي سببتها دموعه، ظل يستمع لها دون قدرة على مقاطعتها أو النظر إليها.. يحبها حقًا.. ولكنه يكره أن تراه في موقف ضعف.
انتهت من حديثها.. ظلَّ صامتًا.

لحظات الصمت الثقيل تمر وتنتظر منى أي تعليق منه على حديثها، لم تجد ردًا..
اقتربت منه.. استدارت لتقف أمامه وواجهته
-متاخدنيش بذنب مش ذنبي.
أجهشت بالبكاء.. أسندت رأسها على صدره وهي تكمل:
-الصبح جرحتني لما قلتلي ان مامتك عندك أهم منى وسكتت وكنت طول اليوم مستنية منك مكالمة حتى لو هتقولي انتي فين.. ولما رجعت ملحقتش اكلمك وحصل اللي حصل وغضبت ونزلت مع انه مش ذنبي وانا ولا اعرف حاجة عن إن مامتك لقيت الدوا.. كنت هموت من القلق عليك ومستنياك لمجرد اني اطمن عليك.. قلت لنفسي مش هعاتبك على أي حاجة بس كفاية انك تكون جنبي.. وبعد كل ده الاقي رد فعلك بمنتهى القسوة وانا معملتش حاجة.. أنا مش عايزة غير انك تحن عليا يا أسامة.. كتير عليا؟؟

ظل أسامة ثابتا ينظر في الفضاء ومنى تبكى بين ذراعيه.. حائرًا بين الرغبة في ضمها إليه بقوة والاعتذار لها عن كل ما بدر منه وما بين التصميم على ما وصل إليه بتفكيره وقراره بالطلاق حتى لا تطلبه منه في أحد الأيام.. رُدِّدَت كلمات منى الأخيرة في أذنه: "مش عايزة غير إنك تحن عليا".
ضمها بقوة واستسلم لدموعه ولم يخفِها.. قبَّل شعرها وهي مازالت تبكي بين يديه:
-متزعليش يا منى.. أنا خايف .. خايف ييجي اليوم اللي تسيبيني فيه عشان كده بقسى عليكي.. الصبح لما قلتلك ماما أهم عندى عشان تبطلوا خناق مش أكتر.. أنا

جيت عليكي عشان مقدرش اجي عليها مهما كان هي أمي اللي ضحت كتير علشاني انا وأختي.. ولما قلت نتطلق كان برضه عشان تيجي منّي انا ومتطلبيهاش وتكسريني.
نظرت له منى بتعجب.. سألته:
-ايه اللي حصلنا يا أسامة.. كنا أقرب لبعض من كده.. ليه بعِدنا أوي بالشكل ده.
أخذ يديها وأجلسها بجواره على حافة السرير:
-أنا عارف السبب.
سألته منى باهتمام
-ايه السبب؟؟ أنا قصرت ف حاجة؟
-السبب فيا أنا مش فيكي.
قاطعته منى:
-بس يا أسامة.. مش عايزين نتكلم في اللي فات.. عايزين نرجع لبعض تاني زي الأول.. أقرب كمان من الأول.. مش عايزين ظروفنا ولا مشاكلنا تبعدنا تاني عن بعض.. ومتجيش عليا تاني.. انت عارف اني معترضتش على وجود مامتك بس هي صعبة أوي ومع ذلك أهلا بيها البيت بيتها.. المهم انك متظلمنيش.. متبقاش انت وهي عليا.
-بتحرجيني بالذوق يا منى.. عاقبتيني بعقلك وقلبك الكبير.
-ربنا عالم اني بتكلم معاك من قلبي.. ولا قاصدة احرجك ولا اعاقبك.
ضمها إليه بحنان وحب.. ابتسمت منى بسعادة واطمئنان وصوت نجاة الصغيرة يتردد داخلها ويتراقص مع دقات قلبها "ما أحلى الرجوع إليه".

****

في نفس التوقيت، وفي مكان آخر.. بعيدًا جدًا.. في شقة «أماني» شقيقة أسامة في مدينة نجران بالسعودية.. تجلس أماني في حجرتها.. أضواء المنزل كلها مطفأة

تقلِّب في مجلة قديمة بملل شديد.. نظراتها معلقة على الكلمات ولكن عقلها بعيدًا جدًا.. عقلها في مصر بجوار والدتها.. حضرت لزوجها منذ شهرين فقط.. ولكن بعد أول أسبوع ندمت كثيرًا أنها ألحَّت عليه في استقدامها.. تقدم لها «سيد» تقليديًا عن طريق إحدى الجارات.. فرِحَت به كما فرحت به والدتها عندما جاء
لزيارتهما..محاسب ويعمل في السعودية، يكبرها بعامين فقط، وسيم، لَبِق، ذوق..
صارحهم بأنه في بداية حياته العملية، وأنه يساعد نفسه بنفسه ماديًا، وأنه يريد الاستقرار وتكوين أسرة بما يتناسب مع قدراته.

تردد أسامة في البداية، ولكن أماني ووالدتها كان يشغلهن الثلاثون عامًا "عُمر أماني" وقلة طالبي الزواج منها لا لعيب ما فيها، ولكن لعدم مشاركتها في الحياة العملية فهي لم تعمل من بعد تخرجها من الجامعة ولا تخرج إلا لزيارة الأقارب مع والدتها.. كادت أماني أن تفقد أملها في الزواج.. لكن بظهور سيد في حياتها تبدَّل الحال وكادت تطير من السعادة عندما تمسَّك بها سيد وطلب منها أن تقف بجواره حتى يتسنى لهما تكوين أسرة معًا. وافقت على الارتباط به دون شبْكَة أو زفاف أو شقة. اتفق مع أسامة أن يتم الزواج في أحد الفنادق في فترة الإجازة بدلًا من أن يتم فرش شقة وتُغلق لدواعي السفر ثم يسافر ويترك أماني حتى ينتهي عقد عمله ويعود ويؤسس شقته.

وافق أسامة على مضض بعد إلحاح أماني ووالدته.
تم الزواج في خلال شهرين الإجازة.. وتزوجا في أحد الفنادق المتوسطة.. أسبوع وودعها وسافر.. انتظرته عامًا بكل شوق ولهفة، لم يربطهما سوى الرسائل المتبادلة من خلال الإنترنت.. حتى عاد في إجازة.. عاد محملًا بخيبة الأمل والشكوى من ضائقة مالية يمر بها. تحملت ظروفه القاسية واستضافته طوال فترة الإجازة في بيت والدتها..
حتى انتهت الإجازة وأُعيدت الكرة مرة أخرى.
عام آخر من البعاد والرسائل المتبادلة عن بعد.. عام آخر وأماني لم تشعر بأنها تزوجت.. فمازالت تسكن بيتها.. تنام في نفس غرفتها.. تعيش وحيدة والاسم زوجة.

قررت أن تطالب زوجها بالعودة أو باستقدامها، رفض سيد بحجة أن مكان سكنه يناسب رجل أعزب ولا يناسب زوجين.. ألحت أماني.. زادت في إلحاحها وأخبرته أنها راضية بكل الظروف في مقابل أن يعيشا معًا.. ومع الإلحاح المتواصل.. وافق سيد.. وسافرت أماني وهي ترسم في أحلامها حياة مستقرة سعيدة بعد حرمان عامين تزوجت فيهما شهرين وأسبوع.

ولكن.. أبي القدر أن يحقق لها غايتها، فوجدت حياة عكس ما تتمنى.. بعد أسبوع.. وبعد أن ذهبت السَكرة وجاءت الفكرة، وجدت شخصًا آخر لم تعرفه ولم تألفه من قبل.. فبعد صدمتها الأولى من الشقة الضيقة جدًا التي يعيش بها سيد، وأثاثها المتهالك والذي علمت بعدما سألته أنه قديم ومستعمل، وجدت شخصًا بخيلًا ماديًا يتكتم الحديث عن راتبه أو خصوصياته المادية، منعزلًا عن زملائه حتى لا يزورهم أو يزوروه حتى لا يتكلف أعباء اجتماعية مادية في غير قدرته على حد قوله.

سمعت صوت الباب ووصول سيد.. نهضت لاستقباله مبتسمة.. فعلى الأقل وجوده يخفف من وحدتها حتى لو كان نائمًا.. لفت نظرها دخوله خاوي اليدين.. فسألته:

–انت مجبتش عشا؟

رد متعجبًا:

–ايه يا أماني ده.. فيه واحدة أول ما تستقبل جوزها تسأله جبت عشا؟

–أسفة.. حمدالله ع السلامة.

ردَّ وهو يتجه نحو غرفة النوم وهي خلفه:

–الله يسلمك.. حضري العشا بسرعة الله يكرمك.

–أحضَّر ايه يا سيد.. ما انا بسألك اهو جبت عشا؟

–مش فيه أكل هنا؟

–لأ مفيش.

–ازاي.. أنا نازل وكان فيه بيضتين وييجي 3 حتت جبنة رومي.

ردت باستغراب:

-وهو ده العشا اللي كنا هنتعشاه.. أنا جعت وعملت البيضتين وأكلتهم.
احمرَّ وجهه غضبًا بينما احمرَّ وجهها خجلًا عندما سألها متأكدا:
-أكلتيهم.. الاتنين؟؟
ردت بصوت خافت:
-إنت هتعد عليا الأكل.. دول بيضتين.
جز سيد على أسنانه وهو يحاول أن يبدو هادئًا.. وابتسم ابتسامة مصطنعة وهو يردد:
-لا أبدًا.. أنا بس مش عايزك تتخني.. خلي بالك الأكل الكتير هيتخنك وانا محبش الست التخينة.
-لا متقلقش.. أنا بقالي سنين أصلا بحاول اتخن شوية حتى 5 كيلو عشان اوصل للوزن المثالي ومفيش فايدة.
-طيب اعمليلي اتعشى.. انتي طبعا مش هتتعشي مرتين هه هه.
كم تمنت أن تلكمه في أسنانه التي ظهرت من بين ابتسامته المزيفة تلك.. لم تكن المرة الأولى التي يمرر لها رسائل جادة في صورة دعابة سخيفة تتحملها.. فهي ليست غبية وتتمكن بسهولة بعد عِشرة شهرين أن تميز طباع زوجها، أفاقت من شرودها على صوته وهو يردد:
-العشا يا أماني.

دخلت المطبخ.. لم تجد سوى لقيمات قليلة من الخبز والجبن الرومي.. وضعتهم له في طبق وقدمتهم له:
-اتفضل.. ده الموجود.
تناولهم منها ببساطة واعتياد:
-يا سلام.. فضل ونعمة.

جلست أماني أمامه تنظر له في دهشة وهو يتناول طعامه، لم يدعوها ولو بالكذب لتشاركه الطعام.. ضاقت به.. نظرت حولها شعرت أن الجدران تكاد تطبق على أنفاسها تخنقها أكثر .

انتهى من تناول طعامه.. اتجه لغرفته، عندما وصل للباب.. التفت لها قائلًا

-إنتي هتفضلي قاعدة عندك؟

-فيه حاجة؟

-اه.. تعالي جنبي شوية.

-انت مش جاي من الشغل تعبان.. نام انت وارتاح.

-ما انا هرتاح برضه.

فهمت أماني ما يلمح له.. لكنها كانت في حالة من النفور وصلت لأقصى درجة ممكنة.

فكرت في أقل من الثانية أن الصراحة لا تفيد في كل الأحيان، فابتسمت وقالت له

-مش هينفع يا سيد.

-ليه؟

نظرت للأرض وتصنعت الإحراج:

-مش هينفع.. افهم.

دخل حجرته وهو يعلق:

-طيب.. تصبحي على خير.

بمجرد أن التفت وأعطاها ظهره، شعرت بدوار.. أمسكت معدتها التي شعرت بانقلابها، رددت داخلها: "لا.. مش قادرة أكتر من كده".

واتخذت قرارًا كانت تفكر به وأصبح لا مفر من اتخاذه والعمل على تنفيذه.

بلاتوة

صادر عن دار : **الرسم بالكلمات**

حالياً بجميع المكتبات .. وسيكون في مقر مكتبة الرسم بالكلمات بمعرض الكتاب 2015

أذا أعجبك الكتاب .. سارع باقتنائه

للتواصل مع الكاتب

https://www.facebook.com/dina.emad.7

وكمان متنساش تقول رايك عن الكتاب على جروب عصير الكتب

https://www.facebook.com/groups/Book.juice